الفصل الثامن

الطفولة الوسطى والمتأخرة

(من ٦ـ ١٢سنة)

(الطفل في المدرسة الابتدائية)

الطفولة الوسطى والمتأخرة (من ٦ـ ١٢سنة)

(الطفل في المدرسة الابتدائية)

تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل النمو من الناحية التعليمية ذلك أنما تفاعل مرحلة التعليم الابتدائي الذي يعتبر التعليم الإلزامي الأساسي بالنسبة لجميع الأطفال في كثير من الدول : ومن ثم يعتبر الأساس الأول في بناء الإنسان المواطن ، وسوف نتناول هذه المرحلة من حيث مظاهر النمو في النواحي التالية :

النمو الجسمي والحركي :

عندما يلتحق الطفل بالمدرسة الابتدائية يكون في حوالي السادسة من عمره وهو لم يعد بعد ذلك الطفل الذي يلتصق بأمه بل يحاول أن يظهر نوعا من الاستقلال في كثير من شئونه ويزداد نشاطه ولعبه وخاصة في الجري والقفز وركوب الدراجة ولعب الكرة .

ينمو الطفل من الناحية الجسمية في الطول والوزن ففي بداية هذه المرحلة يكون طوله حوالي ثلثي طوله عند البلوغ علي حين يكون وزنه حوالي خمسي وزنه عند البلوغ . هذا النمو الجسمي تحدده عوامل مختلفة مثل الوراثة والتغذية والصحة الجسمية العامة للطفل ، ويتابع النمو الجسمي سيره الطبيعي إذا كانت التغذية مناسبة . ولذلك يترتب علي تقديم وجبة غذائية للأطفال في المدرسة الابتدائية ، وخاصة في البيئات الفقيرة ، حتى يتحسن نمو الأطفال وتحدث فيه طفرات سريعة أحيانا .

وتظهر بعض الأمراض والعيوب الجسمية عند أطفال المدرسة الابتدائية ويمكن للآباء والمدرسين اكتشافها بسهولة ، وأهم هذه العيوب تسوس الأسنان وعيوب السمع والبصر .

ويرتبط النمو الحركي في هذه المرحلة بظروف البيئة إلي حد بعيد، فالطفل يتعلم أن يفعل الأشياء التي لديه القدرة علي أدائها والتي تتيح أمامه الفرصة والتشجيع علي أدائها ، ويظل في بداية هذه المرحلة ضعيف السيطرة علي الحركات الدقيقة كحركات أنامل الأصابع مثلا ، ولذلك نجد كتابته بطيئة غير منتظمة ويجب أن نتقبلها كذلك ، ويتدرج الطفل في نموه حني يستطيع أو يسيطر علي حركات الأنامل مما يمكنه من التحسن المتدرج في هذه الناحية ، ويميل أطفال هذه المرحلة إلي بعض الألعاب ذات التنظيم البسيط وإلي القيام بألوان النشاط الحركي كالجري ولعب الكرة (الإستغماية) .

وتظهر الفروق بين الجنسين (البنين والبنات) في هذا النشاط في نهاية هذه المرحلة إذ يلاحظ ميل الأولاد للعب المنظم القوى الذي يحتاج إلي جهد عضلي عنيف كالكرة ولعبة عسكر وحرامية ، بينما تميل البنات إلي اللعب الذي يحتاج إلي تنظيم في الحركة والدقة فيها كالرقص الإيقاعي ، لعل الفروق هنا ترجع إلي فروق في العادات والتقاليد وإلي اختلاف النظر في المجتمع إلي الولد والبنت .

ويتأثر نشاط اللعب عند الأطفال بعوامل كثيرة منها النضج الجسمي وشخصية الطفل وميله إلي مشاركة الآخرين ألعابهم ومدى نجاحه أو فشله في لعبه مع الآخرين ، والفرص التي تتيحها له البيئة لمشاركة

الآخرين ألعابهم وكذلك نظرة المجتمع إلي الطفل صغيرا كان أو كبيرا، ذكرا كان أو أنثى ، ويتيح النضج الجسمي للطفل الفرص الكثيرة لتعلم العديد من المهارات ، غير أن شعوره بالنقص وعدم الاطمئنان يفقده الثقة اللازمة لتعلم قدرة حركية جديدة ، ويصبح نتيجة شعوره بالنقص حساساً جداً لموقف الجماعة منه واتجاهها نحوه ، فالنجاح يستثير همة الطفل ويولد الرغبة في مواصلة النشاط في حين يؤدي الفشل إلي التراجع وإلي العزوف عن التعلم ، ومن هنا تتضح لنا أهمية الظروف المناسبة التي تحيط بالطفل في المواقف التعليمية الجديدة في اكتساب مهارات جديدة .

النمو العقلي :

ونتناول في النمو العقلي النواحي التالية :

١ـ الإدراك :

نلاحظ فروقا واضحة بين الطفل في السنة الثالثة من عمره والطفل في السادسة والطفل في الثانية عشرة ، وذلك من حيث إدراك موضوعات العالم الخارجي واتصالها بعضها ببعض ، فإذا عرضنا صورة أسرة مكونة من الأب والأم وابنهما علي طفل الثالثة ، فإننا نلاحظ في أغلب الأحيان أنه يقتصر علي عد مختلف عناصر الصورة : " دا راجل ودي ست ودا ولد " ، في حين أن طفل السادسة لا يكتفي بذكر العناصر بل يصف ما يدور بالصورة من أمور فيقول : دا راجل يقرأ الجرنال ـ الولد واقف جنبه ، أما طفل الثانية عشرة فإنه يقوم بعملية ربط أجزاء الصورة في وحدة عقلية واحدة ، ويفسر ما هو

موجود أمامه ككل متصل فيقول دي أسره والرجل يقرأ الجرنال ومعاهم ابنهم ، وهذا التطور في الإدراك دليل علي تطور ذكاء الطفل عامة ، وإدراك الطفل لما بين الأشياء من أوجه اختلاف أسبق لإدراكه لما بينها من أوجه شبه ، كما ينتقل الإدراك عند الطفل من المستوى الحسي الذي يكون فيه الإدراك تسجيلا لعالم الواقع الخارجي ، إلي مستوى عقلي يتضمن إدراك العلاقات العلية القائمة بين الأشياء .

٢ـ الانتباه :

وهو شرط أساسي لكل عملية عقلية ، فالانتباه إلي شيء معين يتطلب قدرة علي حصر النشاط الذهني في اتجاه معين لمدة من الزمن ، وقد عنيت البحوث التجريبية في علم النفس بمدى الانتباه ومدته ، ويقصد بمدى الانتباه المقدار أو الاتساع الذي يمكن أن يركز الإنسان عليه انتباهه، ويستطيع الطفل في هذه المرحلة التركيز علي عدد قليل من الموضوعات وإلا تعذر عليه الانتباه إليها مجتمعة ، أما عن مدة الانتباه فإن قدرة الطفل علي تركيز انتباهه الإرادي حول موضوع معين تزداد في مدتها بسرعة من سن السابعة إلي سن الحادية عشرة ، وهكذا فإنه كلما قصرت مدة الانتباه ، وكانت الموضوعات المقدمة إلي الأطفال بسيطة وسهلة وقليلة ، كان ذلك أفضل من الناحية التعليمية ، وطبيعي أن يكون الطفل أقل من الكبار قدرة على التحرر من تأثير المنبهات الخارجية التي تشتت انتباهه ، أي أنه أقل من الكبار قدرة علي تنظيم سلوكه ونشاطه الذهني ، وبمعنى آخر أنه أقل قدرة علي الانتباه الإرادي سواء من حيث مدى الانتباه ومدته ، علي أن هذه القوة تنمو تدريجيا مع نمو قدرته علي التنظيم العقلي والسلوكي .

٣ـ الذاكرة :

وتنمو ذاكرة الطفل نموا مطردا من السابعة إلي الحادية عشرة ، فتسهل للطفل تذكر الأشياء عن طريق السرد ، بينما يصعب عليه فهم الشيء عن طريق توضيح الأسباب إذا كانت صعبه ، ويعتقد البعض أن الطفل في المرحلة الابتدائية يمتاز بذاكرة آلية إذا قورن بالراشد عموما، وذلك علي أساس أن أطفال هذه المرحلة يميلون إلي حفظ جدول الضرب وقطع المحفوظات وتذكرها تذكرا آليا دون الاضطرار إلي فهم معنى القطعة التي يحفظونها ولكن يجب ألا نسرف في استخدام هذه الطريقة الآلية في الحفظ ، إي أن الطفل يغير عادة طريقته في الحفظ والتذكر في حوالي سن التاسعة والعاشرة .

ويلجا إلي الفهم كوسيلة لحفظ الأشياء وتذكرها ، ومن هنا يجب أن يكون موضوعات الدراسة في مرحلة التعليم الابتدائي ذات معنى بالنسبة للطفل ، ويتحقق ذلك إذا كانت متصلة بنواحي اهتماماتهم ، وأن تكون من النوع الذي يثير نشاطهم التخيلي الذي يرضى اتجاهاتهم إلي الابتكار ، كما ينبغي أن يكون التعليم المدرسي أسلوبا لتعويد الطفل علي التفكير الشخصي والعمل المستقل ، علي أننا يجب أن نؤكد أن ذاكرة الطفل في هذه المرحلة تعتمد أكثر ما تعتمد علي الصور البصرية والأمور الواقعية ، فيتصور الحقائق علي أنها فيلم سينمائي متحرك ناطق أمامه ، ولذلك يجب أن يراعي أن يقدم للناشئ في هذه المرحلة ما يكون واقعيا وما يسهل تصوره بصريا .

٤ـ التفكير :

لا يكون تفكير الطفل خلال الفترة الأولي من هذه المرحلة في أغلبه تفكيراً مجردا ، وإنما يستعين في تفكيره بالصور البصرية التي يكونها عن الأشياء ، وفي حوالي سن السابعة يبدأ تفكير الطفل يصطبغ بالصيغة الواقعية والبعد عن الخيال ، فإذا كان طفل المرحلة السابقة يميل إلي عالم الخيال وتكون ألعابه من النوع الايهامي ، فإن طفل هذه المرحلة يكون أكثر واقعية ، وواجب كل من المدرسة والمنزل أن يساعد الطفل علي ملء الفجوة بين الخيال الذي عاش فيه في المرحلة السابقة وبين الواقع الذي يتهيأ للحياة فيه في المرحلة الحالية ، ويمكن للطفل في السابعة من عمره أن يجيب عن بعض الأسئلة المنطقية البسيطة ، ولكنه لا يستطيع أن يستخدم الأفكار المجردة العالية التجريد أو التفكير القائم علي التعليل العقلي المركب إلا في حوالي عمر ١١ــ ١٢سنة ... أو بعد ذلك ،

وينمو ذكاء الطفل باطراد خلال فترة الطفولة المتأخرة ، وإن كانت هناك بعض الفروق بين الذكور وإناث فيتفوق البنات خلال الفترة الأولي من المرحلة ، علي حين يتفوق البنون في الفترة الأخيرة من هذه المرحلة ...

ولكنهما يتساويان خلال مرحلة المراهقة .

ولا شك أن التفكير باعتباره استنتاجا وإدراكا للعلاقات هو أساس هام في عملية الإدراك ، وعلي هذا فإن طفل السابعة حين يفكر فإنه يميل إلي وصف الموضوعات التي أمامه ، أما طفل الثانية عشرة فإنه

يعبر عما بين الأشياء من علاقات ويحاول أن يفسرها كأمر واحد مترابط .

النمو الاجتماعي :

يحدث كثير من التغيرات في العلاقات الاجتماعية للطفل مع والدية والكبار المحيطين به ، ومع أطفال من نفس سنة ، وتقوي رغبة الطفل في أن يكون مرغوبا فيه من الجماعة التي ينتمي إليها ، ولذا يمكن أن تسمى هذه المرحلة بمرحلة (الشلة) . وفي هذه المرحلة ينتقل النمو الاجتماعي من حال التمركز الذاتي والفردية وعدم الرغبة في الاتفاق إلي مرحلة يكون فيها اجتماعيا متعاونا حسن التكيف مع الجماعة التي ينتمي إليها ، ومما يسهل هذا النمو الاجتماعي أن تكون فرص التعاون الاجتماعي والحياة الاجتماعية ميسرة في منزل الطفل خلال السنوات الخمس الأولي من حياته .

ويمز بياجيه مراحل ثلاثة من النمو الاجتماعي للطفل :

المرحلة الأولي :

وبسميها مرحلة التمركز الذاتي ، وفيها لا يهتم الطفل بالمؤثرات الاجتماعية الصادرة عن البيئة الخارجية .

المرحلة الثانية :

وفي هذه المرحلة يبذل الطفل جهدا للدخول في محيط العلاقات الاجتماعية الحقيقية .

المرحلة الثالثة :

وفيما يتم تكوين العلاقات الاجتماعية المتبادلة ، ويتم تبادل الاحترام بين أفراد الجماعة .

وينبغي أن ندرك أن الأعمار التي تحدد هذه المراحل تختلف باختلاف البيئات الاقتصادية والاجتماعية واختلاف الثقافات ، وتشير معظم الدلائل إلي أن أطفال البيئات المتميزة أكثر قدرة علي الانتقال إلي المرحلة الثانية والدخول في محيط العلاقات الاجتماعية المتبادلة بسرعة أكبر مما يحدث لأطفال البيئات الفقيرة .

وطفل هذه المرحلة لا يميل إلي اللعب وحده في المنزل أو مع أفراد أسرته ، ولكنه يميل إلي اللعب مع جماعة كبيرة خارج المنزل ، كما نجد أن رغبته في أن يكون مقبولا من الجماعة قوية جداً ، وجماعات الأطفال في هذه المرحلة تكون جماعات عادية ، وهي في ذلك تختلف عن جماعات المراهقين التي يتصف بعضها بالخروج علي القانون أحيانا ، وغالبا ما تكون جماعات الأطفال في هذه المرحلة من نفس الجنس ، إذا يحدث غالبا في ذلك الوقت أن يكون الشعور غير ودي بين البنين والبنات ، وغالباً ما يكون للجماعة أماكن يجتمعون فيها عند انتهاء اليوم المدرسي وتكون بعيدة عن منازلهم وعن تدخل الآباء ، ولو أن نشاط هذه الجماعات يختلف من مجتمع إلي آخر ، وفي داخل المجتمع الواحد حسب المستوى الاجتماعي والاقتصادي لأفراد الجماعة، ألا أن هناك تشابها في ألوان النشاط التي يقومون بها مثل

الألعاب الرياضية المختلفة ، وخاصة الكرة والذهاب إلي السينما والخروج في رحلات ومعسكرات وركوب الدراجات .... الخ .

ويتحرر الأطفال قليلا من اعتمادهم علي الكبار في الأسرة ليدخلوا مع الأطفال في نفس عمرهم ، وتكون هذه الجماعة صغيرة في أول الأمر تتسع بعد ذلك .

وكلما كبر الطفل واقترب من نهاية هذه المرحلة تغيرت علاقاته الأسرية ، فلم يعد ذلك الطفل الوديع الهادئ المعتمد علي والديه ، وإنما أصبح طفلا آخر يرغب في التخلص من سلطان الكبار ، وعلي الرغم من اتساع محيط الطفل الاجتماعي فإن الآباء يميلون في العادة إلي معاملته كطفل صغير ، مما يؤثر بطريقة أو بأخرى في علاقات الطفل بمن حوله وفي اتجاهاته .

وفي بداية هذه المرحلة لا يكون للوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة أية أهمية في نظر الطفل ، ولكن عندما ينمو ويذهب إلي منازل أصدقائه وتتاح له فرصة للمقارنة فقد لا يرضي عن منزله إذا كان مستواه أقل من مستوى منازل أصدقائه ، ويزداد هذا الإحساس بعدم الرضا مع نموه حتى يبلغ أقصاه في مرحلة المراهقة ، وتلعب المدرسة دورا هاما في النمو الاجتماعي في هذه المرحلة ، وتكون بالنسبة لكثير من الأطفال أول مجال يتعلم فيه الطفل خارج محيط البيت ، فالحياة الاجتماعية في المدرسة تتطلب منه أن يندمج في المجتمعات المدرسية اليومية ، فيسهم مع زملائه في مشروعات الجماعة المدرسية ويطيع القوانين والنظم المدرسية ، كما تتطلب منه أن يصغي إلي أحاديث

الآخرين وإلا يسخر من أخطاء الغير ، والمدرسة التي تتيح للطفل الحرية في الحركة وفي الحديث مع الآخرين والإسهام في حل مشكلات الجماعة إنما تسمح بتنمية سلوك الفرد الاجتماعي وربطه بالآخرين ، وهي تمكن الأطفال من اكتساب الكثير من المعايير الاجتماعية المختلفة، وذلك عن طريق نظام الأسر والأندية المدرسية والمعسكرات والرحلات والاجتماعات التي يتعلم الطفل من خلالها الكثير من الأسس والعادات الاجتماعية .

وللمدرس أثر فعال في تربية الأطفال وتنشئتهم الاجتماعية ، وتقع عليه مسئوليات جسام ، فهو الذي ينظم العمل المدرسي والعلاقات بين الأفراد في الأسرة المدرسية وفي النادي وفي الجمعيات ، وقد تنشأ بعض الروابط والعلاقات الشخصية بين المدرس كفرد وبين الأطفال وتؤثر هذه العلاقات في النمو الاجتماعي للطفل لأن موقف المدرس من الطفل يكون موقف الناصح والصديق والمنظم لتنشئته الاجتماعية .

النمو الانفعالي :

تتميز هذه الفترة بأن الطفل يسير فيها نحو الاستقرار الانفعالي ، ولذلك يطلق الباحثون علي هذه المرحلة اسم " مرحلة الطفولة الهادئة " فسلوك الطفل يتميز بالهدوء والثبات الانفعالي ، ذلك أن الطفل سرعان ما يكتشف أن التعبيرات الانفعالية الشديدة تكون غير مقبولة اجتماعيا من الكبار المحيطين به ، إذ ينظرون إلي هذه الثورات الانفعالية علي أنها أمور طفليه ، ومن هنا يتعلم الطفل أن يكتسب الأساليب التي تدفعه إلي ضبط نفسه والتحكم في المظاهر الخارجية للانفعال ، فبينما يكون الطفل الصغير قويا في انفعالاته وتعبيره عن

هـذه الانفعـالات ، إذا بطفـل هـذه المرحلـة يحـاول أن يخفـي هـذه الانفعـالات ومظهرها اللهم إلا إذا عرف أن سلوكه سوف لا يقابل بالاستهجان من الجماعة التي ينتمي إليها ، سواء فيما يدور في أنفسهم أو فيما يجرى بينهم وبين المجتمع الخارجي من سلوك ومعاملات .

هذا الثبات الانفعالي عند الطفل في هذه المرحلة ينتج عن عوامل كثيرة :

١ـ اتسـاع دائـرة اتصـال الطفل بالعـالم الخـارجي ، فهو يتصـل بغيـره مـن الأطفال كما يتصل بالآخرين من الكبار غير الأم والأب واتساع دائرة اتصالاته يساعده علي عدم تركيز حياتـه الانفعاليـة حـول موضـوع واحد، بل تتسع هذه الاتصالات إلي موضوعات متعددة ، وهذا من شأنه أن يخفف من حدة انفعالاتـه ويعطيه قسطا من الثبات .

٢ـ كذلك فإن مشاعر الطفل وانفعالاته لم تعد متمركزة حول أفراد معينين ، بل تتجه نحو الجماعات المحيطة به مثل الجماعة الرياضية وجماعة الرفاق في الحي وأطفال مدرسته ، حيث تجد ميوله للتنافس والاعتداء متنفسا لها ، وتتكون لديه نتيجة لذلك اتجاهات وحدانية تتسم بقدر من الانسجام والهدوء ، بعد أن كان يتميز بالثورة والاندفاع والصراخ في المرحلة السابقة .

ويجب أن نلاحظ أن الفرق بين الثبات الانفعالي في هذه المرحلة والمرحلة السابقة عليها فرق في الدرجة والحدة الانفعالية وفي الطريقة التي يستجيب بها لحالته الانفعالية ، وإن ذلك لا يعني بالضرورة أننا لا نلمس أثر الانفعالات ، فبينما يلجأ طفل السنة الثانية والثالثة من عمره إلي الصراخ والبكاء ونوبات الغضب ،:إذا بطفل التاسعة مثلا يتخذ نوعا من المقاومة السلبية كتعبير لانفعالاته .